مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

نموذج السيطرة الهشّة للنظام في الجنوب السوري:
تجليات فقدان نموذج الدولة شكلاً ومضموناً، وتضارب أجندات الحلفاء والفاعلين

تقرير صادر عن وحدة تحليل السياسات في مركز الحوار السوري

الجمعة 8 صفر 1442هـ - 25 سبتمبر/أيلول 2020 م

الفهرس

مقدمة 3

أولاً: طبيعة نفوذ النظام السوري: سيطرة هشّة 4

مقاتلو المعارضة السابقون؛ أدوار جديدة بدعم روسي، وصراع مع النظام السوري 5

ثانياً: الاغتيالات وتشعباتها بوصفها أبرز مؤشر لعدم الاستقرار 7

ملف "داعش" في الجنوب يُربك المشهد 9

ثالثاً: التنافس بين روسيا وإيران في الجنوب السوري؛ تفاعل وتضافر العوامل الدولية مع العوامل المحلية 10

رابعاً: ردود أفعال السكان المحليين (أهالي حوران) وفصائل "التسوية" على انتهاكات النظام السوري.....14

الخاتمة.....16

ملحق عن العلاقات الروسية الإيرانية.....17

شكر وتقدير:

يتقدم مركز الحوار السوري بخالص الشكر والتقدير للنشطاء والباحثين والفاعلين المحليين الذين تمت مقابلتهم والاستفادة منهم في إعداد هذا التقرير.

مقدمة:

يبدو المشهد العام في درعا مختلفاً عن الوضع السائد في مناطق "المصالحات" الأخرى التي سيطر عليها نظام الأسد بشكل تام عبر اتفاقات "التسوية" التي أشرفت عليها روسيا، ويبدو كذلك أنّ الأسلوب القمعي الدموي الذي انتهجه النظام بما يتفق مع العقلية السائدة لديه قد أسهم في زيادة تعكير مشهد سيطرته الهشّة على المحافظة؛ إذ إن النظام لم يقم بتهدئة حقيقية لدفع فصائل المعارضة المنخرطة في اتفاق "التسوية" للانضمام إلى صفوف ميليشياته، وتشجيع المناطق الأخرى على ذلك، من خلال المحافظة على حدّ أدنى من احترام اتفاقيات "المصالحة"، بل مضت ميليشياته بمحاولة الانتقام مِن كل مَن حمل السلاح في وقت سابق، وتجلى ذلك في عمليات الاعتقال والاغتيال والتصفية تحت التعذيب لمقاتلين سابقين في فصائل المعارضة[1]. الأمر الذي أدّى إلى مزيد من تقويض قدرات النظام العملية في فرض سيطرته، حيث دفعت سلوكيات نظام الأسد مقاتلي "التسوية" - المعارضة السابقين - للبحث عن طرق متنوعة لحماية أنفسهم، فضلاً عن عوامل أخرى عديدة أدت بالمجمل إلى حالة مستمرة من التوتر، تمثلت بمناوشات واشتباكات متقطعة، وبخروج احتجاجات ضد نظام الأسد، فضلاً عن تأثير محركات وعوامل عديدة محلية وإقليمية لإذكاء الصراع على الهيمنة في درعا والجنوب السوري عموماً، باعتبار موقعه الاستراتيجي القريب من الجولان المحتل وحدود "إسرائيل"، الأمر الذي أسهم بإيجاد نوع من التنافس بين روسيا وإيران على النفوذ، والذي انعكس بتنوع ولاءات مقاتلي "التسوية" لإيران وروسيا كفاعلين رئيسيين في درعا.

وتشكّل درعا التي تُعدُّ مهد الثورة السورية رمزية مهمة بالنسبة للسوريين من حاضنة قوى الثورة والمعارضة بشكل خاص؛ ففيها اندلعت شرارة الاحتجاجات ضد النظام السوري، وربما هذا كان من بين الأسباب التي جعلت النظام السوري يحسب لها حسابات تختلف عن غيرها من المناطق.

وقد شهدت درعا على مدار السنتين الماضيتين مشهداً يُنذر بمزيد من التصعيد في ظل إصرار نظام الأسد على استمرار سياسة الحل الأمني الدموي في محاولته إخماد أي شرارة مستقبلية ضده، وهو ما يمثّل استمراراً لذات السياسات التي أدت عملياً لاندلاع الانتفاضة في درعا في العام 2011، كما تساعد مراجعة حالة درعا في فهمٍ أفضل لطبيعة العلاقات الروسية الإيرانية التي يمتزج فيها التحالف الاستراتيجي في خيار دعم النظام السوري مع التنافس التكتيكي المحموم على النفوذ داخل مؤسساته والمناطق التي يسيطر عليها.

تأتي هذه الدراسة كمحاولة لتحليل وفهم محركات وعوامل الصراع المحلية والإقليمية والعلاقات بينها، وتأثيرها على الوضع في درعا بعد أكثر من عامين على "التسوية". واعتمدت الدراسة على جمع المعلومات وتحليلها من خلال استقاء المعلومات من المصادر المحلية في درعا؛ سواء من خلال إجراء مقابلات مع الناشطين، أو رصد ما أصدرته الهيئات والتجمعات السورية المحلية، إضافة إلى مقابلات مع باحثين أو خبراء، والاستفادة مما كتب سابقاً حول الموضوع، مع التأكيد على التعقيد والتشابك في العديد من حالات الدراسة التي سيتم التعامل معها في هذا التقرير، مما يحدّ من إمكانية الإحاطة الكاملة بالمشهد.

[1] سيتم توضيحه لاحقاً في التقرير في بشكل أشمل.

ستحاول الدراسة تسليط الضوء على أهم العوامل والمحركات التي أدت إلى المشهد الحالي من التصعيد غير المتوقف في الجنوب السوري.

أولاً: طبيعة نفوذ النظام السوري: سيطرة هشّة

لم تسيطر قوات النظام السوري بعد اتفاق "التسوية" بشكل فعلي على محافظة درعا؛ فقد نصّ الاتفاق على عدم دخول قوات النظام إلى مراكز المدن والبلدات[2]، وهناك عدة مناطق لم يدخل إليها النظام حتى الآن رغم مضي أكثر من عامين على الاتفاق، وهذا ما أثار غضب النظام وجعله يحاول انتهاز الفرصة لينقضّ على تلك المناطق، بهدف إخضاعها بالقوة مستغلاً الدعم الإيراني، لكن الوجود الروسي ومقاومة عناصر التسوية المحليين أعاقَ ذلك[3].

وبحسب نشطاء درعا فإن قوات الأسد لا تستطيع الدخول وحدَها ضمن القرى والبلدات، وإنما تترك الاعتقالات والاقتحامات لعناصر "التسويات"[4]، فهم يعرفون المطلوبين وأمكنتهم، وتتدخل قوات النظام السوري من خلال التفاوض مع "اللجان المركزية" للبلدات، وهي تضم قادة ووجهاء ممن اشتركوا باتفاق التسوية، وبإشراف من الجانب الروسي؛ مما يُبقي اليد العليا للروس في صياغة تدخلات النظام وحدودها[5].

ويشير المشهد العام في الجنوب السوري إلى توجه روسي للبحث عن دور مستقل جديد، من خلال بسط نفوذ وهيمنة في المنطقة، الأمر الذي اصطدم بنفوذ النظام السوري وإيران، ويدلل على ذلك حوادث عديدة؛ منها: المشاكل التي حصلت بين مسلحين في بصرى الشام والسويداء في نيسان من العام 2020م، بعد تكرار عمليات الخطف بين فصائل السويداء المحلية و"الفليق الخامس"؛ حيث بذلت روسيا جهوداً "لاحتواء الموضوع" بعد أن حمّلت فصائل السويداء المحلية روسيا المسؤولية عن حوادث الاختطاف[6].

---

[2] يمكن الاطلاع على كامل بنود اتفاق التسوية تقرير بعنوان: درعا: اتفاق يسلب سلاح المعارضة ويعيد مؤسسات النظام – المدن.

[3] على سبيل المثال: يرى ناشط إعلامي مطلع على الأوضاع المحلية في درعا أن السيطرة الفعلية للنظام في محافظة درعا هي سيطرة جغرافية شكلية فقط، وأنه ليس هناك سيطرة لميليشياته بشكل كامل، وأن روسيا تعمل على إيجاد نفوذ خاص بها، وقد اعتبر الناشط أيضاً أن إيران تسيطر "اجتماعياً وعقائدياً" في مناطق عدة، الأمر الذي أدى إلى حالة من صراع النفوذ بين إيران وروسيا، بينما وجدت قوات الأسد نفسها محتاجة لأخذ إذن الروس والإيرانيين قبل دخول البلدات والمدن، كما تحتاج مشاركة الميليشيات المحلية (عناصر التسوية) التي انضمت إلى قوات النظام تحت النفوذ الروسي أو الايراني.

[4] من عناصر "التسويات" مَن انضم إلى النظام السوري، ومنهم مَن انضم إلى الميليشيات التابعة لإيران أو المقربة منها، ومنهم مَن انضم إلى "الفيلق الخامس" التابع لروسيا، وكان نتيجة ذلك أن حصل تنافس بين إيران وروسيا على استقطاب عناصر "التسويات" ومحاولة جذبهم، وسنوضح في هذا التقرير الطرق والوسائل التي يتم بها التنافس على عناصر "التسويات"، وعلى الرغم من أن الفيلق الخامس والفرقة الرابعة ينتميان رسمياً لقوات النظام السوري إلا أن الفرقة الرابعة تُعد تابعة لإيران، فيما يتم دعم الفيلق الخامس من روسيا.

[5] بحسب نشطاء محليين فإن منطقة درعا البلد محرمٌ على النظام دخولها بأي شكل من الأشكال، بالإضافة لمدينة طفس غربي درعا، وبصرى الشام شرقاً وبعض المناطق في ريف درعا الشمالي الغربي، وهي مناطق ليس فيها أي وجود لقوات النظام، منوّهين بأن روسيا تسيطر بشكل فعلي على زمام الأمور في المنطقة، وفي مدينتي درعا البلد وطفس ليس هناك حتى وجود للقوات الروسية، لكنها تبقى صاحبة القرار، حيث يتم تنسيق أي أمر مع اللجنة المركزية التي مهمتها التفاوض مع روسيا.

[6] اندلع التوتر بين فصائل السويداء والفيلق الخامس على خلفية عمليات خطف تنشط بين الفصائل المحلية في درعا والسويداء، وتدخلت روسيا لاحتواء التصعيد الذي أسفر عن سقوط قتلى وجرحى من فصائل السويداء المحلية، وقد حمّلت حركة «رجال الكرامة» في السويداء، وهي أكبر تشكيلات الفصائل المحلية في المدينة ذات الغالبية الدرزية، القوات الروسية في سوريا مسؤولية الأحداث التي حصلت في بلدة القريا في ريف السويداء جنوب سوريا، وبحسب بيان «رجال الكرامة»: حمّلت الحركة «الفيلق الخامس» المدعوم من روسيا مسؤولية الأحداث التي شهدتها بلدة القريا بريف السويداء، والتي راح

ويبدو بأنه وبحسب اتفاق التسوية فإن اقتصار سيطرة النظام على بعض المؤسسات الحكومية وبعض الحواجز في محيط المدن والبلدات دون دخولها كان له دور في إذكاء التوتر في الجنوب السوري؛ إذ حرّض ذلك مليشيات النظام والمليشيات الايرانية الداعمة على محاولة فرض هيبتها وإرضاء نزعاتها الانتقامية، من خلال القمع ومحاولات اقتحام المدن بهدف اعتقال قياديين سابقين في المعارضة، ووصل الأمر إلى حد قصف مليشيات النظام السوري مدينة الصنمين بعد عجزهم عن اقتحامها في آذار الماضي، الأمر الذي أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف المدنيين[7]، قبل أن يتدخل الروس لإيقاف الهجوم مقابل السماح للمعارضين الذين كان يريد اعتقالهم بالخروج إلى الشمال السوري ضمن اتفاق تسوية جديد تم تنفيذه دون أن يستطيع النظام منع ذلك.

مقاتلو المعارضة السابقون؛ أدوار جديدة بدعم روسي، وصراع مع النظام السوري:

حمل اتفاق "التسوية" الذي وُقِع في درعا في تموز من العام 2018 م جوانب ميزته عن اتفاقات التسوية الأخرى التي توسطت بها روسيا في مناطق المعارضة سابقاً؛ ويعود ذلك لكونه أتاح لأعداد كبيرة من مقاتلي المعارضة البقاء في مناطقهم مع هامش من الاستقلالية عن النظام السوري، إذ لم تخرج سوى دفعات قليلة من عناصر فصائل المعارضة الرافضين لـ"التسوية" إلى الشمال السوري، وعلى إثر ذلك قامت روسيا بالاستثمار في المقاتلين السابقين؛ فأنشأت تشكيلاً موالياً لها باسم "الفيلق الخامس" بقيادة قائد "فرقة شباب السّنّة" سابقاً أحمد العودة، والذي استطاع استمالة الكثير من شبان الجنوب لصالحه[8]، وأسهم الروس في إعطاء المعارضة حق الاحتفاظ بالسلاح الخفيف، وعدم دخول قوات الأسد إلى مناطقها، على أن تنتشر الشرطة العسكرية الروسية في أطراف المدن لحفظ الأمن، لكنّ المساعي الروسية اصطدمت بسياسات النظام السورية الانتقامية تجاه مَن حمل السلاح ضده في وقت سابق، ويبدو أن سياسة النظام السوري المدعومة من المليشيات الإيرانية ركزت على التخلص من المعارضين السابقين والتشويش على الأجندات الروسية من خلال عدة ممارسات، أبرزها:

1) الاغتيالات:

وجاء ذلك ضمن سلسلة هجمات لا تكاد تتوقف منذ بدء اتفاق "التسوية"، وتم إفراد جزء من هذا التقرير لمناقشة حيثيات الاغتيالات ومَن يقف وراءها والجهات المستفيدة منها، باعتبارها أحد أهم المؤشرات الواضحة على حالة عدم الاستقرار بعد حدوث اتفاقات "التسوية".

2) مواصلة الاعتقالات وعدم الوفاء بوعود الإفراج عن المعتقلين:

ضحيتها كثير من القتلى والجرحى، وعدّت أن «الفيلق الخامس تشكيل من مرتبات (الجيش)، ويتبع مباشرة للقوات الروسية في سوريا، وعلى هذا فإن المسؤولية المباشرة عن المجزرة التي ارتكبها الفيلق التابع لها تتحملها القوات الروسية في سوريا، ويقع على عاتقها محاسبة المرتكبين، بدءاً من حليفها أحمد العودة وصولاً إلى عناصره الذين ارتكبوا المجزرة بحق المدنيين». يُنظر التقرير الصحفي: جهود روسية لضبط توتر بين درعا والسويداء جنوب سوريا – صحيفة الشرق الأوسط.

[7] شهدت مدينة الصنمين اشتباكات عنيفة قبل توقيع اتفاق التسوية الجديد في آذار الماضي، وذلك بسبب محاولة النظام اقتحامها مدعوماً بمليشيات إيرانية، واستمرت الاشتباكات لمدة يومين قبل توقيع الاتفاق بوساطة روسية. انظر التفاصيل في التقرير الصحفي بعنوان: تطورات متسارعة في درعا.. قطع طرق وأسر جنود، والنظام يقصف المدنيين.. ماذا يحدث؟؟ - شبكة شام.

[8] يُتهم العودة بإسهامه بسقوط درعا بشكل سريع، يُنظر التقرير الصحفي: درعا و"العودة".. جمر الثورة تحت رماد "التسوية" – زمان الوصل.

تزامنت الاعتقالات ضد عناصر "التسوية" مع عمليات الاغتيالات على مدار العام الحالي والعامين السابقين، وعمل النظام على توفير "غطاء قانوني" بعد إسقاطه "الحق العام" عن المعارضين السابقين؛ حيث استغلّ "دعاوى شخصية" أقامها موالون له في الجنوب السوري ضد عناصر سابقين في المعارضة السورية بذريعة ملاحقتهم بتهم متعلقة بـ "جرائم" ارتكبوها خلال سيطرتهم على المنطقة[9]، الأمر الذي حاول النظام من خلاله تنفيذ الاعتقالات بصورة مكثفة ضد عناصر "التسوية" حينما تتاح له الفرصة، وقد توالت أنباء سقوط معتقلين تحت التعذيب بينهم قياديون سابقون من المعارضة[10]. وقد عمد النظام إلى زيادة القبضة الأمنية والتدقيق على الحواجز التي يسيطر عليها، ونفذ عمليات اعتقال بحق عناصر "التسوية" ومدنيين بينهم نساء[11]، ولم يلتزم النظام السوري بالسيادة الشكلية للقانون، والتي حاول الظهور بها من خلال الاعتقال بناءً على الدعاوي الشخصية، وتم توثيق 1144 عملية اعتقال قام بها نظام الأسد بحق أبناء محافظة درعا منذ إبرام اتفاق التسوية في تموز 2018 وحتى مطلع تموز 2020، من خلال كمائن نصبها لهم أو من خلال الحواجز العسكرية أو عمليات مداهمة، دون التزام شكليات الدعاوى الشخصية من قبل مواليه[12]، وذلك ينصبُّ في الاتجاه المؤدي إلى الاحتقان الشعبي الذي قد يفجر غضباً يتطور من قبل عناصر "التسوية" إلى ضرب حواجز قوات الأسد.

3) زجّ مقاتلي التسويات في الجبهات الساخنة مع فصائل المعارضة:

قام النظام السوري بزجّ مقاتلي المعارضة في الصفوف الأمامية من جبهات القتال ضد فصائل المعارضة السورية في شمال غربي سوريا وتنظيم داعش في محاور البادية السورية، مع فائض إهمال لمصيرهم أو حتى تعمّد تركهم فريسة سهلة للقتل.

وقد أطلقت قوات الأسد عمليات عدة في إدلب وبادية السويداء والقلمون، واعتمدت على المهاجمين من عناصر فصائل "التسوية" كرأس حربة في الهجمات[13]؛ إذ كانت تضعهم في خطوط المواجهة الأمامية، بهدف تحقيق تقدم على المعارضة أو تنظيم داعش بدون خسائر لقوات النظام الأكثر ولاءً، وبهدف التخلص من المعارضين السابقين، وأدى هذا بالفعل إلى سقوط العشرات من مقاتلي التسويات خلال المعارك التي كانوا هم حطباً لها[14].

---

[9] انطبق هذا الأمر على معظم المناطق التي سيطر عليها النظام باتفاقات التسوية كدرعا وريف دمشق، وبالفعل تم اعتقال قادة وعناصر بعد دعاوى أقامها موالون للنظام باعتبارها حقوقاً شخصية لا تسقط، كالحق العام. ينظر التقرير الصحفي: عبر بوابة القضاء.. الأسد يلاحق "قادة المصالحات" بسوريا – عربي 21.

[10] سقط العشرات من عناصر وقادة "التسوية" تحت التعذيب في سجون النظام السوري، ويمكن الاطلاع على إحدى الحالات في تقرير بعنوان: بجسد مليء بآثار التعذيب.. قوات الأسد تسلم جثة شاب اعتقلته قبل أيام بريف درعا – تجمع أحرار حوران.

[11] وثقت مصادر درعا عشرات حالات الاعتقال ضد النساء بدرعا، وتطور ذلك في بعض الأحيان إلى خروج احتجاجات غاضبة ضد النظام السوري. يُنظر التقرير الصحفي: احتجاجات ضد النظام في مدينة درعا ردا على اعتقال امرأة – سمارت نيوز.

[12] يُنظر التقري الصحفي بعنوان: عامان على "التسوية".. الموت على قيد الحياة في درعا – تجمع أحرار حوران.

[13] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: نقل 400 مقاتل من فصائل التسوية بريف حمص إلى محيط إدلب – عنب بلدي.

[14] توالت أنباء سقوط عناصر من فصائل "التسوية" في المعارك في جبهات الشمال السوري ضد فصائل المعارضة بشكل متكرر منذ توقيع اتفاق التسوية. يُنظر واحد منها في التقرير الصحفي بعنوان: "فصائل المصالحة" بواجهة معارك شمال سوريا وسط انشقاقات – عربي 21، ويروي فيها أحد العناصر المصابين حديثاً بجروح بالغة خلال الاشتباكات الدائرة شمال حماة: أن قوات النظام تتعمد الزجّ بمقاتلين سابقين في الجيش الحر من الموقعين على

4) دعم تجنيدهم كمرتزقة للقتال في ليبيا بجانب قوات حفتر:

بدأت شركة فاغنر الروسية العمل في الجنوب السوري على تجنيد مقاتلين من أبناء المنطقة للقتال في ليبيا بجانب قوات اللواء المتقاعد خليفة حفتر ضد قوات حكومة الوفاق الوطني؛ فقد أكدت مصادر محلية أن شركة فاغنر للمرتزقة عملت على تجنيد العشرات من أبناء الجنوب السوري للقتال بجانب حفتر، وذلك بالتعاون مع المخابرات الجوية وشخصيات قيادية في فصائل المعارضة سابقاً[15].

وفي واحدة من تلك الحوادث المتكررة حاولت الشركة حسب مصادر أهلية في درعا تجنيد أكثر من 100 شخص ممن تمت تسوية أوضاعهم مع نظام الأسد في القنيطرة مقابل ألف دولار شهرياً، وإنهاء الخدمة العسكرية المفروضة عليهم من قبل النظام[16]، وذلك في دلالة على استغلال النظام وحلفائه الروس الوضع الاقتصادي السيئ للشباب السوري والعمل على تحويلهم إلى مرتزقة، من خلال السماح بنشاط شركة فاغنر في دعم حفتر ضد تركيا التي تدعم قوات الوفاق، وأثارت مساعي النظام وشركة فاغنر الروسية تجنيد شبان الجنوب السوري للقتال في ليبيا غضباً لدى عشائر حوران، فأصدروا بياناً يستنكرون فيه ذلك ويحذرون منه[17].

ثانياً: الاغتيالات وتشعباتها بوصفها أبرز مؤشر لعدم الاستقرار:

أدت الاغتيالات إلى حالة من التوتر الشديد بين النظام وسكان الجنوب السوري، ولم تقتصر الاغتيالات على فئات محددة دون أخرى؛ فقد طالت قوات النظام والمنضمين معها من عناصر المصالحات والمنضمين للفرقة الرابعة، وطالت في الوقت ذاته عناصر "التسوية"، مما شكل إرباكاً وغموضاً فيما يتعلق بالجهات الحقيقية التي تقف خلفها، لاسيما بعد تبنّيها[18] من جهات عدة، كان أبرزها "المقاومة الشعبية"[19].

وبحسب نشطاء درعا المحليين فإن هدف الكثير من عمليات الاغتيال هو خلط الأوراق، والتخلص من قادة المعارضة السابقين المدنيين والعسكريين، وأغلبها يتم باحترافية عالية غالباً ما تفوق قدرات فصائل التسوية الذين كانوا من أبرز ضحايا تلك الاغتيالات، غير أن النظام السوري حاول الإيحاء بأن مَن يقوم بتلك الاغتيالات هم عناصر "التسوية"، الأمر الذي يتيح له استغلالها كذريعة والتلويح بعصا العمليات العسكرية لإخضاع مناطق فصائل التسوية20.

التسوية بمناطق درعا وريف دمشق وريفي حمص الشمالي وحماة الجنوبي في الواجهة خلال المعارك، وتركهم فريسة سهلة للكمائن التي تنصبها فصائل المعارضة دون مؤازرتهم.

[15] يُنظر تقرير: أبناء القنيطرة إلى ليبيا؟ - تجمع أحرار حوران.

[16] المرجع سابق.

[17] يُنظر تقرير: فعاليات وعشائر حوران تستنكر "الدعوات المشبوهة" لتجنيد الشبان ونقلهم إلى ليبيا – نداء سوريا.

[18] يُشار الى أن هناك عمليات اغتيال تتم بدون التبنّي من أي جهة، وهذا أقرب إلى سياسة النظام ومراده من إشاعة الفوضى.

[19] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: "المقاومة الشعبية" في درعا.. فقاعة إعلامية أم كيان منظم؟ - تلفزيون سوريا.

[20] أفاد أحد النشطاء في مقابلة معه أن حالات الاغتيالات متنوعة وعديدة، منها ما يستهدف الذين يتعاملون بشكل مباشر مع النظام أو الفرقة الرابعة والفيلق الخامس و"حزب الله" وإيران، أو الذين يعملون بتجارة المخدرات، والذين يعملون مع عناصر سابقة من الجيش السوري الحر ولم يقوموا بالتسويات، أو بقوا على الحياد، أو ظلوا على الفكر الثوري ومازالوا موجودين، ويرى الناشط أن تلك الحالات وتشعّبها ما هي إلا لخلط الأوراق، مشيرا إلى أن "هناك عمليات اغتيال تتم باحترافية كاملة تفوق قدرات مقاتلي المعارضة السابقين".

في 18 نيسان 2020 م تم تنفيذ واحدة من أبرز عميلة اغتيال ضد قوات النظام السوري في محافظة درعا[21]، واستهدفت ضابطين في أحد أكبر الألوية بدرعا، هما العقيد الركن حامد مخلوف قائد أركان اللواء /52/، والعقيد محمود حبيب مسؤول التنظيم باللواء /52/، وذلك في استهداف آلية عسكرية كانت تقلّهما على طريق "الحراك - المليحة الغربية" شرقي درعا، وقد أثارت هذه الحادثة وحوادث مشابهة لها من قبل غضباً كبيراً في الأوساط الموالية للنظام، دفعتهم إلى التحريض بشكل كبير ضد درعا التي لم يسيطر عليها النظام بشكل فعلي كما أسلفنا[22]. ولا يُستبعد أبداً أن تكون النسبة الأكبر من الاغتيالات من تنفيذ النظام السوري، ومن المعلوم أن أسلوب الاغتيالات ليس غريباً عنه؛ فهو متهم بتنفيذ عشرات الاغتيالات في لبنان وسوريا بالشراكة مع حلفائه من مليشيات إيران[23]، التي يبدو أنها تتشارك الأهداف مع النظام في تأجيج الأوضاع لشنّ عمليات عسكرية تتيح لميليشياتها الانتشار في عمق المناطق التي تخضع لاتفاق التسوية، وما سيؤدي إليه ذلك من محاولة لزرع الفتنة والتوتر بين أبناء المجتمع السوري في درعا[24].

وتشكّل تلك المعطيات دلالات على أن هناك أهدافاً أخرى من الاغتيالات، تتمثل بزرع التوتر بين فصائل "المصالحة" وقوات الأسد والحلفاء الروس، للتذرع أمام الروس بأن ثمّة عمليات تطال قوات "الدولة السورية" من قبل معارضين يعيشون تحت الحماية الروسية25، الأمر الذي يرجّح المؤشرات التي تدل على مسؤولية مليشيات النظام السوري عن عمليات الاغتيال، بهدف إشعال التوتر وزيادة الاحتقان ضد درعا وتصفية الحسابات مع بعض مقاتلي المعارضة السابقين، بما يُمكّن من استخدام الأمر كذريعة لفرض الحل الأمني المعهود لدى النظام[26].

منذ بدء اتفاق التسوية في تموز 2018 وحتى تموز 2020 وثقت مصادر أهلية في درعا 415 عملية ومحاولة اغتيال، أسفرت عن مقتل 285 شخصًا وإصابة 168 آخرين إصابات متفاوتة، ولا تشمل العمليات الـ 415 التي تم توثيقها الاستهدافات الموجّهة لحواجز ومقرات وثكنات قوات الأسد التي تعرضت أيضًا لعشرات عمليات الاستهداف، وقد

[21] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: نظام الأسد يتلقى صفعة قوية في درعا.. اغتيال ضابطين رفيعي المستوى – الجسر.

[22] كان لافتاً التأليب والتحريض إلى حد المطالبة بإبادة أهل كل مَن يقوم بعملية ضد قوات النظام السوري. يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: الصغير قبل الكبير.. صهر الأسد يدعو لإبادة أهل درعا – زمان الوصل.

[23] يُنظر تحقيق قناة الجزيرة بعنوان: الحصاد - لبنان وسوريا.. تاريخ الاغتيالات – يوتيوب.

[24] رأى أحد النشطاء في مقابلة معه أن "90% من الاغتيالات تتم بفعل النظام وإيران، وهناك الكثير من العمليات التي تمت من أجل طمس الحقائق وخلط الأوراق، حتى إن بعض الاغتيالات تتم داخل الفروع الأمنية؛ إذ يتخلص النظام من هؤلاء العناصر ويرمي جثثهم هنا وهناك لزرع الفتنة، وذلك بعد أن يكونوا قد سلموا كل المعلومات التي عندهم وانتهت أوراقهم، وهناك الكثير والكثير سيتم قتلهم من قبل النظام وحزب الله بعد أن يسحبوا المعلومات منهم، وهذا الذي يحسب حسابه أهالي حوران".

[25] بحسب أحد النشطاء المحليين ثمة مؤشرات تدل على أن النظام السوري يجنّد الخلايا التي تعمل على استهداف بعض المتعاونين مع المليشيات الإيرانية، وذلك من أجل الإيحاء بأن إيران مستهدَفة أيضاً، كما يتم استهداف مخبري النظام ومَن كان يوالي النظام السوري في أيام سيطرة فصائل المعارضة على الجنوب السوري، كونهم أوراقاً انتهت صلاحيتهم، وتطال الاغتيالات عناصر في اتفاق التسوية كشفوا بعض خيوط الاغتيالات.

[26] بحسب مصادر المعارضة فقد وقعت حوادث كثيرة تدل على ذلك، مثل الحادثة التي أودت بحياة 9 من مخفر شرطة قوات الأسد في بلدة المزيريب بريف درعا الغربي في 4 أيار 2020؛ فهذه الحادثة جاءت أساساً من مجموعة من عناصر التسويات كردّ فعل انتقامي على مقتل اثنين منهم بعد اختطافهما من قبل مخابرات النظام السوري، وهذا ما يؤكد أن النظام يحاول استفزاز عناصر "التسوية" لجرّهم إلى المواجهة، بينما هم في وضعية لا تتيح لهم الاستمرار بالعمل العسكري أو تأجيج الوضع مع النظام، فمخزونهم المتبقي أساساً من الذخيرة والسلاح الذي بيدهم لا يستطيعون به مجابهة النظام المدجج بالأسلحة والطائرات. يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: قتلى في ريف درعا.. والنظام المُتهم – تجمع أحرار حوران.

استهدفت 277 عمليّة -من ضمن الـ 415 التي تم توثيقها- مدنيّين، و133 عمليّة استهدفت عناصر سابقين في فصائل المعارضة انخرطوا ضمن تشكيلات نظام الأسد بعد اجراء التسوية و"الفيلق الخامس" المدعوم روسياً، و48 عمليّة استهدفت عناصر وقياديين سابقين في فصائل المعارضة لم ينخرطوا ضمن تشكيلات قوات الأسد، فيما تم توثيق 7 عمليات اغتيال استهدفت عناصر سابقين في تنظيم داعش، بعضهم انخرط في العمل مع مخابرات نظام الأسد[27].

وكنموذج لما يُرجّح تورط النظام السوري فيما اشتهر عنه تاريخياً بسياسة الاغتيالات ما أوردته المصادر الأهلية في درعا من اعترافات تكشف خيوط الاغتيالات ومن يقف خلفها؛ منها: عملية اغتيال الشيخ "علاء محمد الزوباني"، وهو إمام وخطيب أحد مساجد بلدة اليادودة غربي درعا، وعمل سابقاً قاضياً في محكمة "دار العدل في حوران" التي كانت مسؤولة عن تسيير الأمور القضائية في محافظة درعا خلال فترة سيطرة فصائل المعارضة. وقد أشرف على عملية اغتيال الشيخ الزوباني 3 أشخاص تم إلقاء القبض على واحد منهم، واعترف أن فرع المخابرات الجويّة هو الذي جنّده لقتل الزوباني الذي نشط بعد إجرائه التسوية في توعية الأهالي وحضّهم على منع التحاق أبنائهم بجيش النظام؛ حتى لا يزجّ بهم في معارك الشمال وقتال أهلهم، إضافة لتوعيته بخصوص موضوع التشيّع[28].

والاعتراف الآخر لشخص يدعى "ممدوح المفعلاني"؛ فحسب المصادر الأهلية اعترف "المفعلاني" للأهالي أثناء صلاة الجمعة بأحد المساجد في بلدة ناحتة شرق درعا في تشرين الأول/أكتوبر 2019 بعمله لصالح فرع الأمن العسكري، وبتجنيده من قبل الفرع مع عدد من شبّان البلدة لتنفيذ مهمات أمنيّة مقابل المال، وطالبَ أهالي بلدته حينها بمسامحته وأخذ الحيطة والحذر[29].

وتؤكد مصادر محلية أن مخططات الاغتيال وُضعت من قبل إيران والنظام بهدف التخلص من المعارضين من أبناء المنطقة، وسخّرت إيران لتلك المخططات كل الإمكانات بالتخطيط مع أطراف من النظام السوري؛ فتمّ تجنيد العشرات من أبناء المحافظة من أجل القيام بتلك الاغتيالات من خلال الأجهزة الأمنية التابعة للنظام السوري[30].

ملف "داعش" في الجنوب يُربك المشهد:

ومما يبدو مستحقاً الوقوف عنده أن النظام السوري كان قد عمل على الإفراج عن الكثير من عناصر "داعش" الذين أسرهم خلال معركة حوض اليرموك في العام 2018 م[31]، وهو ما أثار غضباً في درعا ومخاوف من عمليات

---

[27] يُنظر التقرير: عامان على "التسوية".. الموت على قيد الحياة في درعا – تجمع أهل حوران.

[28] يمكن الاطلاع على تسجيل مصور نشره ناشطو درعا يُظهر اعتراف الشخص الذي تم تجنيده من قبل النظام السوري لاغتيال "الزوباني" وشخصيات أخرى. يُنظر الفيديو على موقع يوتيوب بعنوان: اعترافات المدعو رأفت النحاس اغتيالات جنوبي سوريا مدينة درعا.

[29] يُنظر التقرير الصحفي: اعترافات تثبت تورط نظام الأسد بغالبية الاغتيالات في درعا - شبكة بلدي.

[30] تؤكد المصادر أن أعمال الاغتيال موكلة للعميد لؤي العلي الذي بات مشرفاً على التنفيذ ومديراً للملف من مكتبه في مركز المحافظة. يُنظر: من المسؤول عن الاغتيالات في درعا؟ - أربع عمليات اغتيال في أقل من 24 ساعة في محافظة درعا.

[31] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: بالأسماء.. نظام الأسد يُفرج عن العشرات من عناصر داعش وسط مزاعمه بمحاربة خلاياها غربي درعا –تجمع أحرار حوران.

تنفذها خلايا التنظيم، ومن ثم يكون في ذلك تداعيات سلبية على عناصر "التسويات"[32]، وبالفعل نفذت خلايا تابعة لداعش عمليات اغتيال طالت قادة كبار في اتفاق "التسوية"، أبرزها قتل وإصابة 5 من قادة اللجنة المركزية في هجوم في 27 أيار 2020[33].

ووثقت مصادر أهلية في درعا إفراج مخابرات النظام السوري عن 80 عنصراً من داعش بينهم قياديون في 27 يوليو 2019، وذلك في ظل التعقيدات الأمنية التي تشهدها المنطقة الجنوبية، وسعي نظام الأسد للتخلّص من معارضيه الذين ما زالوا موجودين في المنطقة، من خلال دعم عناصر التنظيم المُفرَج عنهم للقيام بعمليات أمنيّة محدودة تصبُّ في مصلحة نظام الأسد وحلفائه من إيران ومليشيا "حزب الله" في المنطقة[34].

وبحسب المصادر المحلية في درعا فإن مدة اعتقال عناصر داعش في الأفرع الأمنية لم تتجاوز عشرة أيام، بعكس عناصر الجيش الحر[35]، وحال خروج عناصر داعش انضموا إلى تشكيلات قوات الأسد، ولاسيما الأفرع الأمنية، ومن بين هؤلاء أمراء وشرعيون وعناصر اشتهروا بشدة إجرامهم خلال سيطرة "جيش خالد" المبايع لتنظيم "داعش". وجدير بالذكر أن "جيش خالد" خاض معارك ضارية ضد فصائل المعارضة السورية إبان سيطرته على منطقة حوض اليرموك غربي درعا[36]، وقد أسهمت الخلايا التي تعمل لصالح تنظيم داعش في الجنوب السوري بتأجيج الوضع في درعا؛ إذ إن العمليات التي شنّتها كانت تصبّ في السياق الذي يرغب به نظام الأسد من تأجيج الأوضاع، علماً أنه وخلال سيطرة فرع تنظيم "داعش" (جيش خالد) على حوض اليرموك لم تكن له عمليات عسكرية بالمعنى الحقيقي ضد النظام السوري، بل كانت موجهة ضد فصائل المعارضة بالدرجة الأولى، كما كان الحال في الشمال السوري[37].

ثالثاً: التنافس بين روسيا و إيران في الجنوب السوري؛ تفاعل وتضافر العوامل الدولية مع العوامل المحلية:

مما تتميز به درعا قربها من الجولان السوري الذي تحتلّه "إسرائيل"؛ ما يجعل منها منطقة حساسة تحرص إيران على مدّ نفوذها فيها بهدف امتلاك ورقة أمن "إسرائيل" بوصفها ورقة تفاوضية مهمة مع المجتمع الدولي من جهة، وأدى من جهة أخرى إلى تكثيف الهجمات الإسرائيلية على مليشيات المشروع الإيراني في الجنوب السوري خاصة[38].

---

[32] يُنظر التقرير الصحفي: قلق في جنوب سوريا من إفراج دمشق عن «دواعش» - الشرق الأوسط.

[33] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: استهداف قيادات بارزة في اللجنة المركزية بدرعا – تجمع أحرار حوران.

[34] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: بالأسماء.. نظام الأسد يُفرج عن العشرات من عناصر داعش وسط مزاعمه بمحاربة خلاياها غربي درعا –تجمع أحرار حوران.

[35] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: بالأسماء.. مهام أمراء داعش في درعا من الفتك بجسد الثورة إلى سجون الأسد ثم لصفوف قوّاته – تجمع أحرار حوران.

[36] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: وجه "داعش" في درعا.. كيف تشكّل جيش خالد بن الوليد؟ - الخليج أون لاين.

[37] وهو ما أكده أحد الخبراء والمحللين المتابعين لحالة الجنوب السوري، واعتبر أن تنظيم داعش في الجنوب ممثلاً بجيش خالد قاتلت فصائل المعارضة بالدرجة الأولى، كما كان الحال في الشمال السوري. وستصدر قريباً عن مركز الحوار السوري ورقة تحليلية خاصة بكشف استثمار إيران ونظام الأسد في التنظيمات المتطرفة، وفيها بيان التواطؤ بين داعش والنظام ضد فصائل المعارضة السورية.

[38] يُنظر على سبيل المثال التقرير الصحفي بعنوان: تصعيد عسكري غير مسبوق بين إسرائيل وقوات موالية لإيران على الأراضي السورية - france24.

ولذا فإنه وقبل توقيع اتفاق "التسوية" أفادت تسريبات بحدوث توافق بين روسيا وأمريكا و"إسرائيل" على أن يسيطر نظام الأسد على الجنوب السوري، شريطة إبعاد مليشيات إيران عن الحدود مع الجولان[39]؛ وذلك لكون نظام الأسد ترك الجبهات هادئة مع "إسرائيل" نحو 40 عاماً، فإنه يبقى الخيار الأفضل بالنسبة للإسرائيليين، ولذا وافقت "إسرائيل" على عودة سيطرته شريطة إبعاد إيران عن حدودها، وهو ما تكفل به الجانب الروسي حسب التقارير الغربية[40]، لكن هذا لم يكن له أثر على الأرض عملياً، بل إن إيران زادت من حضورها المستتر والمُعلن في تلك المنطقة بعد سيطرة النظام السوري عليها[41].

ويبدو أن إيران قد استشعرت وجود اتفاقات دولية على ضرورة إبعاد ميليشياتها عن الجنوب السوري، فعملت على اتباع تكتيك جديد، وهو الانتشار من خلال الاعتماد على العناصر السورية مع عدد أقل من القوات والخبراء الإيرانيين، فعملت على زيادة عدد عناصرها السوريين وانخراط مقاتليها مع عناصر قوات الأسد كي لا يتم استهدافها[42]، وجعلت زيّهم العسكري كزيّ قوات النظام السوري، وشمل ذلك حتى مقاتلي ميليشياتها من الجنسيات الأجنبية[43].

كان للتنافس بين روسيا وإيران في الجنوب السوري جوانب متعددة أسهمت في تأجيج وضع الجنوب بشكل مباشر، وتجلى ذلك من خلال محاولة الطرفين استقطاب عناصر التسويات في صفوفهما؛ فروسيا تدعم "الفيلق الخامس" بقيادة قائد "فرقة شباب السنة" سابقاً أحمد العودة، ويُعد هذا الفيلق يد موسكو الضاربة في درعا، بينما تدعم إيران "الفرقة الرابعة" التي استقطبت الكثير من عناصر التسويات إليها. الأمر الذي أدى إلى حالة من التنافس والصراع غير المعلن بين روسيا وإيران على محاولة أخذ أكبر عدد ممكن من هؤلاء العناصر لاستخدامهم في خدمة مشروعَي الطرفين في الجنوب السوري، مع تقديم إغراءات متفاوتة للعناصر المنضمة[44]، ومن الأمثلة على ذلك الاشتباكات التي حصلت بين قوات أحمد العودة المدعوم روسياً وقوات "أبو صدام خربة" التابع لـ "حزب الله" اللبناني، وانتهت بسيطرة قوات العودة على مدينة بصرى الشام في ريف درعا الشرقي[45].

وتبدو ملامح السياسة الروسية مختلفة عن السياسة الإيرانية؛ إذ يسعى الروس إلى التهدئة النسبية، ولا يريدون لإيران أن تمدّ نفوذها في المنطقة لِمَا لذلك من تداعيات سلبية على الموقف الدولي والاتفاقات القاضية بإخراجها

---

[39] يُنظر التقرير الصحفي: اتفاق إسرائيلي روسي على إبعاد إيران عن حدود إسرائيل الشمالية – DW.

[40] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: روسيا تبعد إيران عن مرتفعات الجولان السورية – BBC عربي.

[41] يُنظر التقرير بعنوان: تنافس روسي إيراني على اقتسام سورية – العربي الجديد

[42] أصدر مركز الحوار السوري في وقت سابق تقريراً بعنوان: "ملشيات المشروع الإيراني في سوريا ... التصنيف والتبعية وعوامل الحشد"، ويوضح التقرير بنية مليشيات المشروع الإيراني، سواء تلك التي استقدمتها خارجياً أو التي قامت ببنائها داخلياً، والروابط التي تجمع بينها، بما فيها التبعية العسكرية والدينية والإيديولوجية والسياسية.

[43] يُنظر التقرير: الموافقة على وجود قوات النظام في جنوب سوريا لن تؤدي إلا إلى تعزيز أهداف إيران – معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى.

[44] يُنظر التقرير الصحفي: تنافس بين "الفيلق الخامس" و"الفرقة الرابعة" لكسب مقاتلي درعا – عنب بلدي.

[45] يُنظر التقرير الصحفي: المخدرات واختلاف الولاءات تعصف بالفيلق الخامس في درعا – حرية نت.

من سوريا، ولاسيما من الجنوب السوري، ووصل الأمر بالروس إلى التدخل أكثر من مرة للإفراج عن معتقلين بهدف تخفيف الاحتقان والوصول إلى تهدئة نسبية فيما يظهر[46].

ويبدو أن التحركات الروسية قد دفعت إيران إلى القيام بردود أفعال من خلال إنشاء كيانات عسكرية تعتمد على العنصر البشري المحلي بحيث تتبع لها بشكل مباشر، وتقدم إيران للعناصر المحلية إغراءات مالية، إضافة إلى تخليصهم من الملاحقات الأمنية من قبل أجهزة النظام الأمنية، خاصة لمن كان مطلوباً بسبب النشاط الثوري فيما سبق، وإغرائهم بأن خدمتهم ستكون في الجنوب السوري فقط ومحسوبة ضمن الخدمة الإلزامية؛ ولذا فإنها عملت على محاولة زجّ أبناء الجنوب في الفرقة الرابعة التي تتبنى دعمها عسكرياً ولوجستياً، وعملت أيضاً على التغلغل بشكل كبير في الأرياف والتقرب من الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في المدن والقرى والبلدات بهدف إنشاء كيانات عقائدية وعسكرية من أبناء المنطقة تكون ركائز لها في المنطقة وتأتمر بأمرها، وسعت طهران خلال الأعوام السابقة إلى تشكيل اللواء 313 ذي الصبغة الشيعية، ليكون قاعدة لها كحزب الله في لبنان، كما عملت على نشر التشيّع[47]، من خلال تقديم المساعدات المادية والعينية للفقراء في الجنوب السوري[48].

والزيارات التي قام بها ممثلون عن المرشد الإيراني علي خامنئي إلى درعا تؤكد ذلك؛ فقد زار رئيس "مكتب الإمام خامنئي في سوريا" ومجموعة من أعضاء المكتب مدينة درعا في تشرين الأول من العام 2018 م، والتقوا مسؤولين ووجهاء محليين، كما اجتمعوا مع المدنيين، وتم التأكيد من قبل الوفد على "توجيهات الإمام الخامنئي لرعاية أهالي محافظة درعا"، وأن إيران ستعمل خلال الأشهر المقبلة على مشاريع البنى التحتية وإعادة الإعمار فيما وُصف بـ "تعزيز المجتمع المحلي"[49].

كما تعمل إيران منذ اتفاق التسوية وحتى اليوم على تجنيد خلايا تعمل على اغتيال المعارضين لمشروعها في المنطقة الجنوبية، وعزّز ذلك إصدار "الفرقة الرابعة" و"المخابرات الجوية" أوامر بالإفراج عن خلايا من تنظيم داعش وتأمين انتشارهم في المنطقة، من أجل نشر الفوضى لتعزيز الذرائع لاقتحام مناطق فصائل التسويات[50].

---

[46] يرى ناشط محلي قابله فريق البحث أن روسيا تسعى لعدم التصعيد في المنطقة، وترغب في ضم عناصر التسوية إلى الفيلق الخامس، ولا تريد لإيران أن تُحكم قبضتها على المنطقة التزاماً منها باتفاقيات مع دول الجوار تقضي بإخراج إيران من الجنوب بشكل نهائي، وأفاد أيضاً أنه وبعد أي تصعيد في قرى وبلدات الجنوب السوري تتدخل الشرطة العسكرية الروسية للحد من تجاوزات النظام، وفي بعض الأحيان تساهم بالإفراج عن معتقلين، وهي رسائل واضحة للنظام داخلياً وللدول الراعية لاتفاق الجنوب أنها تسعى لتهدئة المنطقة والحد من النفوذ الإيراني فيها، على عكس ما يسعى إليه النظام و إيران.

[47] أصدر مركز الحوار السوري مؤخراً سلسلة بعنوان "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا"، وشرحت السلسلة في إصداراتها الأربعة أدوات إيران الدينية والتعليمية والاجتماعية وغيرها للتغلغل الثقافي في سوريا. يراجع فيها اصدار الأدوات الدينية واصدار الأدوات الاجتماعية.

[48] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: ما سبب الصراع الخفي بين روسيا وإيران في الجنوب السوري؟ - الخليج أون لاين.

[49] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: لماذا يهتم خامنئي برعاية أهالي درعا؟ - المدن.

[50] من لقاء أجراه فريق البحث مع ناشط محلي؛ إذ أفاد أن إيران عملت منذ اتفاق التسوية في تموز وحتى اليوم على تجنيد خلايا أمنية لاغتيال المعارضين لمشروعها في المنطقة وتصفية كل المعارضين للنظام، كما عملت على جعل الانفلات الأمني سيد الموقف ليكون لها الحجة والمبرر في اقتحام المنطقة وبسط نفوذها لتنفيذ مخططاتها، معتبراً أن إيران عبر أذرعها الأمنية وهي المخابرات الجوية والفرقة الرابعة اتخذت خطوات عملية تمهيداً لاقتحام درعا، إذ لم تكتفِ بتجنيد خلايا أمنية، وإنما ساهمت بالإفراج عن العشرات من عناصر وقيادات تنظيم داعش من الأفرع الأمنية ونشرهم في المنطقة، لتكون الفوضى مضاعفة، والحجة محاربة داعش لتبرير أي عمل عسكري أو اقتحام.

ويبدو أن إيران تهدف من تعزيز نفوذها في الجنوب السوري إلى امتلاك ورقة أمن "إسرائيل" باعتبارها ذات أهمية لدى مختلف الفاعلين الإقليميين والدوليين وتحت شعارات "المقاومة"[51]، إضافة إلى تقديم الدعم إلى مليشيا حزب الله في لبنان بحكم الموقع الجغرافي القريب والطبيعة الجغرافية للمنطقة القريبة من الجولان المحتل، ولذا حاولت إيران استقطاب السوريين من عناصر التسويات ليكونوا الأداة التي تنفّذ بها مشروعها.

ولن يتمكن النفوذ الإيراني من التمدد بارتياح في الجنوب حسب ما يرى بعض الخبراء والنشطاء في درعا في ظل وجود الجانب الروسي، والذي بات يمسك بالكثير من الأوراق في الجنوب السوري، ويستغل علاقاته الجيدة بـ "إسرائيل"؛ ولكن يبقى التنافس بين الجانبين الروسي والإيراني قائماً بواسطة السوريين، ومنهم عناصر التسويات[52]، لاسيما بعد أن بنتْ إيران نفوذاً لا يُستهان به اليوم في الجنوب السوري من خلال انتشار ميليشياتها على حدود الجولان وشمال وغرب درعا، وفي السويداء وعلى الحدود السورية الأردنية.

ولعل روسيا أدركت حجم تسارع النفوذ الإيراني في الجنوب السوري؛ فبدأت ملامح العمل على تحجيم ذلك النفوذ تظهر على الأرض أكثر من أي وقت مضى، وهذا ما تجلى بما أعلنه أحمد العودة الذي يقود اللواء الثامن التابع للفيلق الخامس المدعوم روسياً؛ إذ كشف عن نيته تشكيل "جيش موحد" في حوران يضم عدداً كبيراً من المقاتلين، وذلك في ظروف توحي بأن هذا الجيش سيكون موجهاً ضد إيران وميلشياتها[53]، وسرعان ما انشق أو انضم المئات من الشبان في الجنوب السوري إلى هذا التشكيل الجديد لحماية أنفسهم من غدر النظام السوري والمليشيات الإيرانية[54]، الأمر الذي سيُضعف نفوذ إيران على المدى البعيد، خاصة إن تم دعم "العودة" بشكل مستمر من قبل روسيا.

وبالتالي فإن الصراع بين روسيا وإيران في الجنوب السوري من خلال السوريين -خاصة من عناصر التسويات- قد أدى إلى حدوث عمليات اغتيال واحتقان وتوتر أسهمت في تأجيج الأوضاع في الجنوب، وعمل نظام الأسد على تغذية ذلك الصراع من خلال فتحه الباب على مصراعيه لمن يرغب بالتطوع في الفرقة الرابعة، الأمر الذي يثير حفيظة واحتقان مَن هم ضمن كيان الفيلق الخامس المقرب من روسيا[55].

---

[51] وهو ما فعله "حزب الله" في لبنان من خلال منعه أي فصائل فلسطينية أو فصائل أخرى من المقاومة لـ "إسرائيل"، بل يتم تجريم مَن يقوم بأي محاولة من هذا النوع إذا كانت من خارج "حزب الله"، على سبيل المثال: ألقت الأجهزة الأمنية اللبنانية مرة القبض على أحد المواطنين لأنه أطلق صواريخ على "إسرائيل" من جنوب لبنان. يُنظر الحديث حول السياق في المقالة الصحفية: عن احتكار المقاومة وأشياء أخرى - الشرق.

[52] في لقاء أجراه فريق البحث مع محلل متابع للوضع في الجنوب السوري؛ أفاد أن الإيرانيين حالياً موجودون في درعا والقنيطرة بقوة، وحزب الله موجود بقوة خاصة في مناطق القنيطرة، ورغم ذلك تبدو كلمة الفصل للروس، ولا يتجرأ الإيرانيون على تجاوز القرار الروسي، ومن غير المحتمل حدوث صدام مباشر بين الإيرانيين والروس على الرغم من وجود تنافس على النفوذ والهيمنة، ويتم ذلك بواسطة السوريين، فيدعم كل طرف قوى محلية محددة، ويحاول أن يُظهر أنها هي الأقوى.

[53] جاء ذلك في كلمة ألقاها العودة أمام المئات من المتظاهرين في مجلس عزاء عدد من مقاتليه بعد مقتلهم بتفجير حافلة أثار غضباً واسعاً واندلاع مظاهرات ضد إيران. يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: "العودة" يكشف عن نيته تشكيل "جيش موحد" في درعا – الجسر.

[54] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: معسكرات تدريبية للفيلق الخامس تضم منشقين جدد عن نظام الأسد – تجمع أحرار حوران.

[55] يُنظر التقرير الصحفي بعنوان: تمدد إيران جنوب سوريا يشعل «حرب اغتيالات» تصل إلى أطراف دمشق – صحيفة الشرق الأوسط.

وبحسب مصادر محلية فإنه -في مقابل عزوف أبناء المحافظة عن الانتماء إلى الفرقة الرابعة المدعومة إيرانياً- يستقطب "الفيلق الخامس" مئات الشباب من جميع مناطق المحافظة تمهيداً لالتحاقهم بالدورات العسكرية التي تُقام لعناصره، وقد بلغ عدد المنتسبين الجدد إليه نحو خمسة آلاف شاب، وتفيد المصادر أن "الفيلق الخامس" بات أكثر قبولاً لعدة أسباب، أبرزها: انتماء عناصره إلى محافظة درعا، إضافة إلى أن "الفيلق الخامس" لا يقوم على مبادئ عقائدية مثل الفرقة الرابعة التي تعمل على نشر التشيع في صفوف المنتسبين إليها، ويدور الحديث عن إبرام موسكو تفاهمات مع دول الجوار لإنشاء "حائط صدّ سنّيّ" جنوب سوريا لمنع الحرس الثوري الإيراني والميلشيات المحلية والأجنبية الأخرى الموالية لطهران من الهيمنة على المنطقة، حيث تخضع قيادة الفيلق الخامس لجنرال روسي، وتضم قيادته عدداً من الضباط الروس الذين يُظهرون انحيازهم لفصائل التسوية المنضوين تحت قيادة "الفيلق الخامس" في مواجهة الفرقة الرابعة والحرس الثوري الإيراني وحزب الله وغيرها من الميلشيات الموالية لإيران[56]، وترى مصادر مطلعة أن موسكو ترغب -من خلال سيطرتها على الفيلق الخامس- ببناء قوات مسلحة سورية جديدة بشروطها الخاصة، وتوظيفها لتعزيز المصالح الروسية في سوريا[57].

رابعاً: ردود أفعال السكان المحليين (أهالي حوران) وفصائل "التسوية" على انتهاكات النظام السوري:

بعد انتهاكات النظام السوري التي تعرض لها السكان المحليون من أهالي حوران على تنوعهم، من مدنيين أو موقّعين على اتفاق "التسوية"، حدثت عمليات انتقامية عدة ضد النظام السوري، وتطور بعضها إلى حد الاستنفار من فصائل "التسوية" لضرب حواجز قوات النظام السوري على أطراف المدن.

وبحسب نشطاء درعا فإن نسبة يسيرة من مقاتلي التسويات بدؤوا بالتحرك لرد الاعتبار وحماية أنفسهم وذويهم، وظهر ذلك جلياً بالتحرك الذي حصل في شهر كانون الثاني الماضي 2020 نصرة لمدينة الصنمين، وكذلك في آذار الماضي[58]، إضافة إلى ضرب الحواجز التي تحيط بالمدن التي لا يستطيع النظام دخولها، وتُقيد تلك العمليات ضد مجهولين[59].

---

[56] بناءً على ما سبق يبدو مناسباً إلقاء نظرة على العلاقات الروسية الإيرانية وتاريخها؛ كونهما الداعمَين الرئيسيين للنظام السوري، وأبرز اللاعبين غير المحليين المؤثرين في ملف الجنوب السوري، ولذا تم إدراج ملحق في الدراسة عن العلاقات الروسية الإيرانية.

[57] كانت قيادة "الفيلق الخامس" قد أعلنت عن حاجتها لتنسيب 15 ألف شاب من أبناء الجنوب السوري، وتم التفاوض مع الفصائل المنتشرة في درعا للانضمام إلى الفيلق، مقابل الاستفادة من المميزات التي يوفرها، وتتمثل في توفير 25-200 دولار شهرياً، وقيام عناصر الفيلق بأعمال الحراسة في مناطق سكنهم، ومنحهم بطاقات أمنية معترفاً بها من جهات النظام تخول حاملها التنقل في مناطق المحافظة، وتعفيه من الملاحقة الأمنية ومن السحب إلى الخدمة العسكرية أو الاحتياطية، ويجد معظم المتطوعين من فصائل التسويات ومن المطلوبين للخدمة العسكرية في جيش الأسد والخدمة الاحتياطية الذين تقطعت بهم السبل الأمن والحماية من خلال الانتساب إلى الفيلق الخامس، ويحققون في الوقت نفسه هدفًا رئيسًا للقيادة العسكرية الروسية التي تعمل على احتواء النفوذ الإيراني بالقرب من الحدود مع "إسرائيل"، ومنع أية بوادر انشقاق من قبل فصائل "المصالحة" المنضوية تحته، والذي تتصرف قيادته بصورة منفصلة عن جيش النظام. يُنظر: التقرير الإستراتيجي السوري (80) - المرصد الاستراتيجي.

[58] استنفرت حينها فصائل التسويات في مناطق مختلفة من درعا على خلفية الهجوم الذي شنته قوات النظام ضد مدينة الصنمين في محاولة لاقتحامها، وتم شنّ عمليات ضد قوات النظام في عدة مناطق بدرعا. يُنظر التقرير الصحفي: ردًا على اقتحام الصنمين.. فصائل درعا تستولي على حاجز للنظام وتعتقل عناصره – عنب بلدي.

[59] في لقاء أجراه فريق البحث مع ناشط محلي أشار فيه إلى أن تلك الأعمال تتم من أبناء المنطقة الرافضين لانتهاكات النظام، وفي الوقت ذاته يرى الناشط أن النظام يستفيد منها ويوظفها لتأجيج الوضع بدرعا.

وتزامنت ردود الأفعال تلك مع استقدام النظام الكثير من التعزيزات العسكرية ونشرها في مناطق مختلفة من درعا بعد اتفاقات مع "اللجنة المركزية بدرعا"، وهي المعنية بالتفاوض مع النظام والقوات الروسية[60]، وحتى بعد الاتفاق على نشر حواجز للنظام السوري في مناطق غربي درعا التي تُعد خارج نفوذه عاد النظام ليتجاوز الخطوط التي تم الاتفاق عليها مع اللجنة المركزية ونشر حواجز بمناطق أخرى[61]، الأمر الذي يثير حفيظة السكان ويعزز مخاوفهم من عمليات مفاجئة.

ويبدو أن أهالي حوران متفهمون للحراك الإيراني الذي يعمل على تأجيج الأوضاع في الجنوب السوري؛ ولهذا فإن نشطاء منهم كتبوا عشرات المرات عبارات تندد بالوجود الإيراني في الجنوب، وتطالب بضرورة إخراج المليشيات الإيرانية من المنطقة، وتطور الأمر إلى خروج مظاهرات عدة نادت بإسقاط النظام وخروج المليشيات الإيرانية[62]، وفي بعض المظاهرات تم رفع علم الثورة السورية والمناداة بإسقاط النظام واتفاق التسوية[63].

ويمكن إجمال أهم النشاطات التي تجلت كردود أفعال للأهالي المحليين وعناصر التسويات على انتهاكات النظام السوري بالآتي:

- ضرب حواجز النظام السوري في محيط المدن والقرى.
- اغتيال شخصيات مسؤولية عن عمليات اغتيال ضد عناصر التسويات والمدنيين.
- الخروج باحتجاجات ليلية وبعد صلوات الجمعة نادت بخروج إيران، وبعضها طالبت بإسقاط النظام و"التسوية".
- كتابة شعارات ثورية على الجدران في مناطق مختلفة من درعا.
- كتابة شعارات على الجدران تندد بالوجود الإيراني.
- كتابة شعارات تتوعد عملاء النظام.
- التحذير من الانضمام إلى صفوف قوات النظام السوري.
- دعوة كل مَن تطوع في صفوف النظام إلى ترك العمل معه.

ويظهر أن غالب المعطيات التي يردّ بها أهالي المنطقة على انتهاكات النظام السوري تسير في مسار تأجيج الأوضاع في الجنوب السوري، وتبعد عنه صفة الاستقرار الذي يبدو أن روسيا تسعى إلى إيجاده أو الإيحاء بتحقيقه ولو ظاهرياً.

[60] يُنظر التقرير بعنوان: اتفاق غربي درعا.. وزيارة مفاجئة لوزير الدفاع – تجمع أحرار حوران.

[61] يُنظر التقرير بعنوان: بعكس ما تم الاتفاق عليه.. انتشار جديد للفرقة الرابعة غربي درعا – تجمع أحرار حوران.

[62] تم توثيق عشرات التسجيلات المصورة والصور الجدارية في مناطق مختلفة بدرعا، تُنظر واحدة منها: هنا.

[63] يُنظر التسجيل على يوتيوب بعنوان: مظاهرة في درعا البلد تطالب بالمعتقلين وتندد بالتسوية – يوتيوب.

الخاتمة:

يبدو أن النظام السوري وحليفه الإيراني يسعون إلى إنهاء العمل باتفاق "التسوية"، أو تغيير صيغته التي أعطت هامشاً ضئيلاً لفصائل المعارضة السابقة للاحتفاظ بكينونتها مع نوع من "الحماية" تحت المظلة الروسية، ليعيد النظام السوري أسلوبه ذاته الذي بدأ فيه بقمع الثورة السورية في درعا تحديداً من خلال الإصرار على انتهاج الحل الأمني العسكري، لكن سياسة الفاعل الروسي تقلل من قدرة النظام على تنفيذ مخططاته، ويأتي ذلك كنتيجة لسعي الفاعل الروسي لتحصيل نفوذ خاص به يوازن النفوذ الإيراني، ويحاول إرسال رسائل الاطمئنان للقوى الفاعلة الاقليمية، وفي مقدمتها "إسرائيل"، مفادها أن النفوذ الروسي يمكن أن يساعد في إنشاء حزام أمني يمنع امتداد مليشيات المشروع الإيراني التي تحاول استخدام أمن "إسرائيل" كورقة تفاوضية إيرانية، من خلال عرض المحافظة على أمن "إسرائيل" مقابل مكاسب معينة تتعلق بملفات عديدة كالملف النووي. ومع ذلك تصطدم المحاولات الروسية بالحراك الخفي والمعلن الذي يقوم به النظام السوري وإيران لتأجيج الأوضاع في الجنوب السوري وشهوة الحسم العسكري المعتاد، والذي يضطر السكان المحليين لردود أفعال تسهم في زيادة التوتر وعمليات الاغتيالات، الأمر الذي يهدد بانفجار الوضع في درعا على نطاق واسع، ويبقى حجم ذلك الانفجار مرهوناً بمدى تصعيد قوات النظام السوري وإيران، ومما يزيد من احتمالات عودة انفجار الوضع مجدداً وجود العوامل المحلية المعقدة، المتمثلة بإدراك القوى المحلية خداع سراب "المصالحات والتسويات" من طرف النظام السوري، واستمرار انتهاجه الحلول الأمنية والعسكرية المعهودة منه، والتي تتفاعل وتتضافر بدروها مع عوامل إقليمية تتمثل بتعقيدات العلاقات بين الروس والإيرانيين و"إسرائيل".

إلا أن أبرز ما يمكن رؤيته بشكل جلي ودون أي لبس في هذا المشهد المعقد هو فقدان النظام السوري للحد الأدنى من الظهور بمظهر الدولة ولو شكلاً، وهو الفاقد لحقيقة دور الدولة عملياً وضمنياً منذ ما قبل اندلاع الثورة؛ حيث يبدو المشهد المليشياتي الفوضوي في الجنوب أبعد ما يكون عن "الاستقرار" و"الأمن" الذي يَعِد به النظام السوري ومؤيدوه عادة كمحصلة لـ"تحرير المناطق من الإرهابيين"، وعن مفاهيم "الاستقرار والأمن" التي شكلت عادة أبرز ملامح سرديات مؤيدي النظام التقليدية، المقابلة لسرديات المعارضة التي تعتمد مفردات مشتقة من "الحقوق والحريات والتعددية"، فضلاً عن تحول هيكلية النظام السوري لحصان طروادة ومرتع خصب لاختر اقات إيران وأجنداتها ومليشيات مشروعها الاستيطاني المهدد للدولة السورية وشعبها وهويتها، والمزعزع للاستقرار محلياً و إقليمياً، مما يوضح بشكل جليّ خطأ فرضية ضرورة المحافظة على الأجهزة الأمنية والعسكرية للنظام السوري كضمانة للاستقرار محلياً و إقليمياً بناءً على مزاعم اعتبارها نواة أجهزة "الدولة السورية".

ملحق عن العلاقات الروسية الإيرانية:

إطلالة على تاريخ العلاقة بين روسيا و إيران:

منذ سقوط الدولة الصفوية في العام 1736 م دخلت المنطقة الجغرافية التي كانت تحت سيطرتها - مما يُعرف اليوم بإيران وأذربيجان وتركمانستان وشرق جورجيا، إضافة إلى أفغانستان وبعض مناطق القوقاز– في حالة من الضعف والتفكك الإداري أغرى الجارة الشمالية القيصرية بقضم بعض تلك المناطق وضمها إلى إمبراطوريتها الاستعمارية، واستغلت روسيا ضعف الدولة المركزية الإيرانية بعد سقوط الصفويين، وسيطرت بعدها على حكّام إيران من القاجاريين لمدة قرن كامل، وانتزعت جزءًا من الأراضي الإيرانية شمالاً وضمتها إلى الإقليم الروسي بموجب اتفاقية جلستان 1813، وتركمن تشاي 1828، ولا يزال الإيرانيون يتذكرون ذلك بمرارة حتى اليوم. وما بين سنتي 1905 و1911 دخلت القوات الروسية إيران لإجهاض ما عُرف بالثورة الدستورية، وهو ما تكرر خلال الحرب العالمية الأولى رغم إعلان طهران الحياد التام، وخلال الحرب العالمية الثانية تعاون الاتحاد السوفيتي مع بريطانيا لاحتلال إيران بحجة منع ألمانيا النازية من السيطرة على حقول النفط الإيرانية[64].

الثورة البلشفية والاتحاد السوفيتي:

جاءت الثورة البلشفية عام 1917 وصبغت روسيا بصبغتها الشيوعية الثورية التي ستُعرف بها لما يزيد عن 7 عقود أخرى من الزمن، ولكن هذا التغير في الطبيعة الحاكمة لروسيا لم يحمل معه تغيراً يُذكر في نظرتها لإيران؛ فهي وإن تخلت عن أطماعها الاستعمارية فيها إلا أنها كانت تدفع بقواتها داخل إيران كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فتوغلت القوات الروسية في الحربين العالميتين الأولى والثانية داخل الأراضي الإيرانية[65].

فضلاً عن التأثير الداخلي في الشأن الإيراني عبر دعم وتوجيه "حزب توده" الشيوعي الذي كان يؤسس مواقفه السياسية تجاه الشاه تبعاً لطبيعة العلاقات والتبادلات بين الاتحاد السوفييتي وحكومة الشاه[66].

"لا شرقية ولا غربية"[67] شعار مرحلة "الثورة الإسلامية":

جاءت الثورة الإيرانية في العام 1979 م بصبغتها الدينية وصعدت بالخميني للحكم، في صورة جديدة للصراع الأيديولوجي بين الاتحاد السوفييتي الشيوعي والجمهورية "الإسلامية" الإيرانية، وتجلت أولى حلقات هذا الصراع الأيديولوجي في رفض إيران للاحتلال السوفييتي لأفغانستان[68]، وفي دعم الاتحاد السوفييتي لنظام العراق تحت قيادة صدام حسين في حربه ضد الجمهورية الإيرانية والتي استمرت لعقد من الزمن[69].

---

[64] تُنظر ورقة عن مركز الجزيرة للدراسات العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة.

[65] المصدر السابق.

[66] يُنظر ورقة عن مركز الجزيرة للدراسات إيران وروسيا: شراكة أم تحالف استراتيجي؟

[67] رفع الخميني شعاره "لا شرقية ولا غربية – دولة اسلامية" لثورته ك "طريق ثالث" بين الشرق والغرب إبان الحرب الباردة.

[68] يُنظر في ورقة أفغانستان في استراتيجية الأمن القومي الإيراني ورؤيتها لدور طالبان والوجود الأجنبي الصادرة عن مركز الجزيرة للدراسات.

[69] يُنظر في ورقة العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة الصادرة عن مركز الجزيرة للدراسات.

في الوقت ذاته كانت إيران ترفع علناً شعارات العداوة لأمريكا والنموذج الغربي؛ فصار لزاماً على روسيا الحفاظ على خيط من التوازنات معها لضمان عدم لحاقها بالمعسكر الغربي وبقائها على موقف العداء معه.

تفكك الاتحاد السوفييتي وبداية التحول في العلاقات:

انهار الاتحاد السوفييتي في العام 1990 م تاركاً وراءه إرثاً كبيراً من الدول الصغيرة والضعيفة في وسط آسيا وشرق أوروبا، فأعطى هذا الانهيار إيران قسطاً من الراحة، وأزاح عنها قليلاً عبء الوجود الثقيل لروسيا على حدودها المباشرة، وشيئاً فشيئاً بدأت تتغير نظرة كل منهما للآخر؛ فإيران تبحث عن متنفس لها من ضغط العقوبات والحصار الأمريكي، وفي المقابل تسعى روسيا لتثبيت نفسها إقليمياً ودولياً على مسرح السياسة العالمي من جديد.

إلا أن تطور العلاقات كان يمشي بخطى ثقيلة في فترة التسعينيات، فعلى الرغم من توقيع اتفاق مفاعل بوشهر النووي عام 1995م إلا أن روسيا لم تكن بعدُ قد انتهجت سياسة الندّ الصريح للقطب الأمريكي، لذا كان من الصعب إعلان الدعم المباشر واختراق العقوبات والحصار الغربي المفروض على إيران، ومن جانبها كانت إيران تتوجس من تاريخ العداء الطويل مع روسيا وذكريات الحروب الثقيلة، فكان توجهها أيضاً حذِراً على الرغم من حاجتها الملحّة اقتصادياً وعسكرياً بعد حرب العراق.

حدود المصالح والتحالف.. محفزات وعراقيل:

منذ الفترة الرئاسية الثانية لفلاديمير بوتين والعلاقات الروسية الإيرانية تشهد تطوراً ملحوظاً على كل الأصعدة، مع بقاء الحذر سيداً للموقف نتيجة ضعف الثقة وغياب الأهداف المشتركة.

فعلى صعيد التعاون التجاري والاقتصادي لا يكتسب الأمر أهميته من حجم التعاملات المالية بين البلدين وحسب، بل تشتبك مع ذلك أمور جغرافية وإستراتيجية أخرى[70]؛ فكلا البلدين يملك مخزوناً نفطياً وغازيّاً هائلاً، ويسعيان بطريقة أو بأخرى إلى فرض رؤيتهما للأسعار وسحب بساط السيطرة على سوق النفط والغاز من تحت الهيمنة الأمريكية، ويشتركان أيضاً في محاولتهما السيطرة الاقتصادية على منطقة الشرق الأوسط والتحكم بطرق النقل والتجارة فيها.

وعسكرياً تحتل إيران المرتبة الثالثة عالمياً من حيث استيراد المعدات العسكرية والتعاون مع روسيا بعد الصين والهند، على الرغم من بعض المنغصات التي شابت علاقة التعاون العسكري بين البلدين، مثل إلغاء توريد صفقة الصواريخ S300 بعد الضغط الأمريكي على شركات روسية[71]، مما دفع إيران لتقديم شكوى ضد روسيا في مجلس الأمن.

وفيما يتعلق بالملف النووي بدأت روسيا بمساعدة طهران في هذا الملف منذ عام 1995م، حين وقّع البلدان اتفاقية مفاعل بوشهر النووي، ولكنها مع ذلك تخشى من إمكانية امتلاك طهران للسلاح النووي، وهي تشارك بذلك كلّاً من

[70] يُنظر في مقال العلاقات الإيرانية الروسية.. فرص التعزز ومخاوف الانفراط المنشور على شبكة الجزيرة.

[71] يُنظر الخبر: روسيا تحظر تسليم صواريخ اس 300 لإيران، وكالة رويترز.

"إسرائيل" والولايات المتحدة الأمريكية القلق حيال هذا الموضوع، حتى إنها دعمت في بعض الأوقات العقوبات المفروضة على طهران جرّاء برنامجها النووي[72].

انخراط الطرفين الايراني والروسي في القضية السورية:

مع الفترة الرئاسية الثالثة لبوتين أخذت العلاقات تنحو منحىً أكثر جدية وتعاوناً، ومنذ الأيام الأولى انخرطت إيران عسكرياً وسياسياً في دفاعها عن نظام الأسد، وتأخرت روسياً قليلاً في تدخلها العسكري المباشر حتى أواخر العام 2015م، عندما بدأت بحملات القصف المكثفة واستباحت الأجواء السورية، وعلى الأرض شكلت الحكومة الروسية تشكيلات عسكرية تابعة لها معظمهم من المنتمين سابقاً لفصائل المعارضة بعد التسويات التي أدارت روسيا دفتها، وكسبت فيها بذلك دعم هؤلاء المقاتلين لها لتحقيق أهدافها الميدانية من خلالهم[73].

وفي عام 2018م التقى كل من الرئيس الروسي بوتين ورئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في لقاء كان الموضوع الأبرز فيه هو الوجود الإيراني في سوريا، والتنسيق الأمني المشترك لحماية الحدود الإسرائيلية، وتعرضت إيران والميليشيات التابعة لها قبل ذلك الوقت وبعده للكثير من الضربات الجوية الإسرائيلية، وقد التزمت روسيا خيار الصمت حيالها، بل ولم تسمح حتى للنظام السوري باستخدام المضادات الجوية المتطورة "S300" التي زودته بها[74] لردع الطيران الإسرائيلي، مما يشير إلى احتمالية وجود اتفاق ضمني بين إسرائيل وروسيا حول ذلك الأمر، وهو ما أشار إليه رئيس لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني "حشمت الله فلاحت بيشه" الذي اتهم روسيا بـ"التواطؤ مع الهجمات الإسرائيلية"، مشيراً إلى وجود "تنسيق بين هجمات الكيان الصهيوني والأنظمة الدفاعية الصاروخية لروسيا في سوريا"[75].

ومع ذلك تصدر بين الحين والآخر تصريحات روسية من جهات حكومية عالية المستوى تشيد بالدور الإيراني في سوريا ومحاربته "الإرهاب"، واستخدمت روسيا حق النقض الفيتو في مجلس الأمن للدفاع عن إيران ضد قرار تمديد العقوبات عليها، وانتقدت أكثر من مرة سياسة الضغط القصوى التي ينتهجها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تجاه إيران، وأكدت في أكثر من موقف أن عاقبتها لن تكون جيدة على المنطقة[76]، ما يشير إلى أبرز ما يجمع إيران وروسيا، وهو التحالف مع الصين ضد الهيمنة الأمريكية، ويتجلى بوجود تحالف استراتيجي عام على المستوى

---

[72] حكم التعاونَ الروسي الإيراني في المجال النووي اعتباران أساسيان: الأول هو حاجة روسيا الاتحادية لإيران كحليف وشريك استراتيجي في مواجهة الغرب، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، بالنظر لموقعها الاستراتيجي وتأثيرها في منطقة حساسة جداً، والثاني هو خوف روسيا من تمرد طهران، خاصة إذا ما تمكنت من الحصول على سلاح نووي يشكل تهديداً لروسيا الاتحادية قبل غيرها من الدول. يُنظر: العلاقات الروسية الإيرانية – الواقع والمستقبل، د. سليم كاطع علي، مجلة اتجاهات سياسية -تصدر عن المركز الديموقراطي العربي-، العدد الثاني، كانون الثاني 2018.

[73] يُنظر مقال: "الفيلق الخامس" مقبرة "شبان المصالحات" وذراع روسيا في جيش الأسد في زمان الوصل.

[74] يُنظر مقال: "هآرتس" تقدم ثلاث أسباب لعدم استخدام النظام السوري "إس 300" في مواجهة غاراتها في شبكة شام الإخبارية.

[75] يُنظر المقال: روسيا وإيران إلى أين؟ - حسين عبد العزيز، عربي 21.

[76] يُنظر مقال: "دولة سخيفة".. روسيا ترد على عزم أميركا دفع إيران للإفلاس على شبكة الجزيرة.

العالمي[77]، لكنه لا يمنع التنافس الإقليمي التكتيكي على النفوذ، وبالنظر إلى تاريخ العلاقات فليس من المستبعد أن تتغير توازنات العلاقة بينهما إذا ما اختل أي عامل من العوامل الحاكمة لها، خاصة مع اشتداد التنافس بينهما.

[77] من المعروف أن أحد دوافع الاتفاق النووي مع إيران كان احتواء إيران وإبعادها عن الصين وروسيا، وهو ما بدأ الديمقراطيون يسوّقون له حالياً لاستئناف الحوار الدبلوماسي مع إيران؛ فالمرشح الرئاسي "بايدن" يجادل بأن الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني قد دفع إيران إلى تحسين العلاقات بشكل أكبر مع الصين وروسيا، في الوقت الذي يبدو فيه العالم أكثر توجهاً نحو التعددية القطبية، مما يعني إمكانية لجدّية أكبر في العودة إلى الاتفاق النووي مع إيران. ومؤخراً قامت إيران بالسعي إلى عقد اتفاقية شراكة استراتيجية شاملة مع الصين لمدة 25 عاماً، في ظروفٍ ازدادت فيه التوترات بين الولايات المتحدة والصين بعد تفشي جائحة كورونا.

يُنظر: الباحث عبد الله النفيسي وتوضيحه حول هدف الولايات المتحدة من الاتفاق النووي إبعاد إيران عن الصين والروس: د. عبد الله النفيسي: تخوف أمريكا من حالة الدفء بين إيران من جهة والصين وروسيا - حراك. ويُنظر أيضاً مقالة الباحث علي باكير حول الاتفاق الأخير بين إيران والصين بعنوان: إيران ترهن نفسها للصين – تلفزيون سوريا.